﴿وَإِذَا لَّآتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمًا ٦٧﴾ [النّساء: 67]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا بيَّن اللهُ أنَّ الإخلاص في الإيمان خيرٌ ممَّا يريدُ المنافقون منَ النِّفاق، وأكثر ثباتًا وبقاءً؛ بيَّن أنَّه خير في نفسه، فضلًا عن كونه مستعقبًا للخيرات العظيمة من أجرٍ وثواب كبيرين[1]، كأنَّه قِيلَ: ماذا يكون من هذا الخير والتَّثبيت؟ قال: هو أن نؤتيهم من لدنَّا أجرًا عظيمًا، ونهديهم صِراطًا مُستَقيمًا[2]، فما أنْ تَشرعَ بالمسير بخطوةِ البدءِ، سيتبعه العون منَ الله، ويتبعه التَّثبيت على المضي في الطَّريق، ويتبعه الأجر العظيم، وتتبعه الهداية إلى الطَّريق المستقيم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَجۡرًا﴾: الهمزة والجيم والرَّاء: أَصلان يمكنُ الجمعُ بينهما بالمعنى، فالأَوَّلُ: الكِراءُ على العمل، والثَّاني: جَبرُ العَظمِ الكَسيرِ، فأَمَّا الكِراءُ؛ فالأَجرُ والأجرَةُ، والمعنى الجامع بينهما: أنَّ أُجرَة العامِل كأنَّها شَيءٌ يُجبر به حالُه فيما لحِقه من كَدٍّ فيما عمله، فالأجرُ والأجرَةُ: ما أُعطِيتَ مِن أجرٍ في عمل[3]، قال الخليل: "الأجرُ جزاء العمل"[4]، فالأجرة إذًا: أَثَرٌ، أو حصيلةٌ لجُهد مادِّيٍّ فيه صَنْعة، وهو ما يُحَصِّله العامل من صاحب العمل لقاء العمل[5]، ومعنى اللَّفظة في الآية الكريمة: الجزاء.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

لو قام المكلَّفون بما كُلِّفُوا، واستجابوا لما أُمِروا به، وفعلوا ما وعِظُوا به، وأدَّوا حقَّ الله تعالى، فسيزيدُ ثباتهم على الحقِّ، وينالون الخير، وإنَّ لهم من لدنه تعالى فوق ذلك ثوابًا وافرًا لا حدود لسَعته، ولا يقدِرُ عليه غيره، وأجرًا عظيمًا، وهو الجنَّة[6].

(1) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/131.
(2) الخازن، لباب التَّأويل: 1/397.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أجر).
(4) الخليل، العين: (أجر).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (أجر).
(6) الواحديّ، التَّفسير الوسيط: 2/77، والخازن، لباب التَّأويل: 1/397، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 4/1749.

وترشد الآية الكريمة والَّتي بعدها إلى: أنَّ جزاء الامتثال لأوامر الباري فضلٌ لا يُدرك كُنهه، وأجرٌ لا يُقدَّرُ عَدُّه، وأعطيات من الوهَّاب المنَّان.

من عظيم مِننِ الواهبِ سبحانه استتباعُ التَّثبيت بالأجرِ العظيم

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

وجُوهُ وصْلِ المَطْلَع بما قبله:

تحتمل ﴿وَإِذًا﴾ أن تكون جوابًا لسؤالٍ مُقدَّر، كأنَّه قِيل: وماذا يكون لهم أيضًا بعد التَّثبيت؟ فقيل: وإذًا لو ثبتوا لآتَيناهُم؛ لأنَّ (إذًا) جوابٌ وجزاءٌ[1]، وإظهارها لتحقيق أنَّ هذا الجزاء الأخير ترتَّب على الجزاء السَّابق[2].

فائدةُ الاستئناف التَّشوُّقُ لمعرفة ما بعد التَّثبيتِ من أجْر

ويحتمل أن تكون جملة ﴿وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ﴾ معطوفة على جواب (لو)، والتَّقدير: لكان خيرًا وأشدَّ تثبيتًا ولآتيناهم... إلخ، ووجود اللَّام الَّتي تقع في جواب (لو) مُؤْذِنٌ بذلك، وأمَّا واو العطف فلِوصْلِ الجملة المعطوفة بالجُملة المعطوف عليها، وتكون (إذًا) في معنى جوابٍ لكلامٍ سبقَها، ولا تختصُّ بالسُّؤال، فأُدخلَت في جواب (لو) بعطفها على الجواب تأكيدًا لمعنى الجزاء، فقد أجيبت ﴿وَلَوْ﴾ في الآية بجوابين في المعنى؛ لأنَّ المعطوف على الجواب جواب، ولا يحسن اجتماع جوابين إلَّا بوجود حرف عطف[3].

العطف لوصل الجملة المعطوفة بالجملة المعطوف عليها؛ تأكيدًا لمعنى الجزاء

علَّة تعظيمه تعالى بالضَّمير(نا):

ذكر تعالى نفسَه بصيغة العظمة المتمثِّل بـ(نا) في قوله: ﴿لَّآتَيْنَٰهُم﴾، وقوله: ﴿مِّن لَّدُنَّآ﴾، والمعطي الحكيم؛ إذا ذكر نفسه

ذكرُه تعالى نفسه باللَّفظ الدَّالّ على العظمة دلالة على عِظم العطيَّة

(1) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 1/530.

(2) الآلوسّي، روح المعاني: 5/74 - 75، وقد ردَّ العلامة ابن عاشور توجيه الزَّمخشريّ، ومن تبعه منَ المفسِّرين بقوله: "والحقُّ أنَّ ما صار إليه في الكشَّاف تكلُّف لا داعي إليه إلَّا التزام كون: (إذًا) حرفًا لجواب سائل، والوجه أنَّ الجواب هو ما يتلقَّى به كلام آخر سواء أكان سؤالًا أم شرطًا أم غيرهما"، ينظر: ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 5/115، مستندًا إلى توجيه أبي حيَّان، البحر المحيط: 3/299، والآلوسيّ، روح المعاني: 5/75.

(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 5/115.

باللَّفظ الدَّالِّ على عظمةٍ عند الوعدِ بالعطيَّة دلَّ ذلك على عظمةِ تلك العطيَّة[1]، فعظَمَةُ الهبة من عظمةِ الواهب.

صيغة التَّعظيم فيها توكيدٌ للإيتاء، وحتميَّة تحقُّقه

المعنى: فإذا فعلوا ما يوعظون به؛ آتيناهم بما لنا منَ العظمة إيتاءً مؤكَّدًا لا مرية فيه[2]، فالعظيم سبحانه لا يُخْلِف وعدًا، ويجازي المرء بما يستحقُّ.

علَّة التَّعبير بالإتيان دون غيره:

الإتيان يُقال باعتبار القصد، والإيصال إلى المنتهى

المجيء أعمُّ منَ الإتيان، ويُقال اعتبارًا بالحصول، أمَّا الإتيان؛ فيُقال باعتبار القصد[3]، ويُلاحظ في المجيء نقلُ الشَّيء من جانب البدء، والإتيان يلاحظ فيه إيصاله إلى المنتهى، فإنَّ ابتداء المجيء هو جناب المُرسَل، ومنتهى الإتيان هو المُرسَل إليه[4].

نكتة لَدُنِّيَّةِ الأجر:

عطاءُ الباري خاصٌّ لا يوصف قدْره، ولا يُدرك كُنْهه

يدلُّ التَّخصيص في قوله: ﴿مِّن لَّدُنَّآ﴾على التَّوكيد، والمبالغة في الإعطاء، كما في قوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الكهف: 65]، فلا يَعْرِفُ أحدٌ مبدأه، ولا يبلغ منتهاه[5]. وهذا شرف إضافيٌّ لهذا الجزاء، وهو جزاء يعلو على كلِّ جزاء منَ النَّاس، فيستهان في سبيله كلُّ أذى[6]؛ "لأنَّه تعالى لا يكاد ينسب إلى نفسه منَ النِّعم إلَّا ما كان أجلَّها قدرًا وأعظمها خطرًا"[7]، فهو عطاءُ تفضُّلٍ من عنده[8]، خاصٌّ لا يُدرك كُنْهه، ولا تكلُّفَ فيه بالتَّطلُّب.

سرُّ تقديم شبه الجملة على المفعول:

تقديمُ ﴿مِّن لَّدُنَّآ﴾ على المفعولِ الصَّريحِ ﴿أَجْرًا﴾ للعناية بالمقدَّم

(1) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/132.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/319.
(3) الرَّاغب، المفردات: (جاء).
(4) البروسوي، روح البيان: 3/211.
(5) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/132، والآلوسّي، روح المعاني: 5/74.
(6) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 4/1749.
(7) الرَّاغب، تفسير الرَّاغب: 3/1309، والقونويُّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاويّ: 7/217.
(8) الزَّمخشريّ، الكشَّاف: 1/530.

والتَّشويق إلى المؤخَّر، فإنَّ تأخير ما حقَّه التَّقديمُ يُبقي النَّفسَ مترقِّبةً له، متلهِّفةً لهيئته، فإذا وردها يتمكَّن عندها فضلُ تمكُّنٍ[1].

تقديم شبه الجملة؛ للعناية بالمقدَّم والتَّشويق إلى المؤخَّر

فائدةُ تنكيرِ لفظ (الأجْر):

في تنكير (الأجر) مِنَ المبالغة ما لا يخفى[2]، فهذا التَّنكير يشير إلى أنَّه غير محدود بحدود، فهي عظمةٌ أقصى ما يصل إليه الخيال[3]؛ لكونه استغراقًا لعموم الأجر، وذلكم وصفُ عطاء التَّفضُّل منه جلَّ في قدرته.

في تنكيرُ الأجْرِ مبالغةٌ في عظمته، وسعة حدِّه، واستغراقٌ لعمومه

بلاغة تعظيم (الأجر):

في قوله: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وصفَ الله تعالى هذا الأجرَ بالعظيم، والشَّيء الَّذي وصفه أعظم العظماء بالعظمة لا بدَّ أن يكون في نهاية الجَلالة، فقد قال ﷺ عنِ الجنَّة أنَّ فيها: "ما لا عين رأَت، ولا أذن سمعَت، ولا خطر على قلب بشر"[4]، "ووصفُه بالعِظم باعتبار الكثرة، أو باعتبار الشَّرف"[5]، ولذلك استدعى حشدًا من أدوات تحقيقها؛ ليرغِّب في الطَّاعة كالتَّنبيه بـ(إذا)، والإتيان بصيغة العظمة(نا) و(لدن) مع العظمة، والوصف بالعظيم[6].

وصفُ الأجر بالعظمة تأكيدٌ لعظمة الجزاء، واعتبارٌ بالكثرة، أو بالشَّرف

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الأجر، والثَّواب، والجزاء:

الأجر: ما يعود من ثواب العمل دنيويًّا كان أو أخرويًّا، ولا يُقال الأجر إلَّا في النَّفع دون الضُّرِّ، بخلاف الجزاء؛ فإنَّه يُقال في النَّافع

اختير الأجر لخصوص معناه بالجزاء نفعًا في الدُّنيا والآخرة

(1) أُفيد في توجيه هذا المُعطى البلاغيّ من أبي السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 7/124 في أحد المَواضِع المشابهة.
(2) النَّيسابوريّ، غرائب القرآن: 2/441.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 4/1749.
(4) البخاريّ، الحديث رقم: (4779)، مسلم، الحديث رقم: (2824).
(5) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/299.
(6) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/319.

والضَّارِّ[1]، وكذلك الإثابة؛ إذ تُستعمل في المحبوب والمكروه[2]، ومن هنا تستبينُ قصديَّة اختيار لفظ "الأجر العظيم" دون غيره ممَّا يقاربه؛ لكون الحديث في الآية الكريمة وما يعقبها خاصًّا بالعطايا الدُّنيويَّة والأخرويَّة، دون العقوبات، فاختير ما كان خالص المعنى لذلك.

(1) الرَّاغب، المفردات: (أجر).
(2) الرَّاغب، المفردات: (ثوب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»